

(الانجازات الحضارية والفكرية للوالي موسى بن نصير في المغرب والأندلس)

أ.م.د. جاسم لطيف جاسم

جامعة تكريت/ كلية التربية

التمهيد

لم يقتصر دور القادة والولاة من المسلمين على الأعمال العسكرية والحربية، بل كانت لهم إسهاماتهم البارزة والعظيمة في مجالات تمثلت بمنجزات مدنية حضارية، ومن ذلك المدن وما يستلزم ذلك من إقامة المنشآت الدينية والثقافية والفكرية والتنظيمات الإدارية وغير ذلك، ولا عجب فمن شروط الوالي أن يكون على حظ جيد من الثقافة، فضلا عن الخبرة الإدارية، كذلك كان للولاة مواقفهم الإنسانية المعبرة عن سمو عقيدتهم التي ارتبطوا بمبادئها وتعاليمها، وانطلقوا على هدي من روحها.

وفي هذا المبحث محاولة لتلمس ما يمكن من تلك الجوانب الحضارية والإنسانية لإعطاء صورة أوضح عن دور الوالي موسى بن نصير، ومن أبرز الأعمال التي قاموا بها هي بناء المدن ورغم إنها كانت في البداية قواعد عسكرية وسكنا للجنود وأسرههم في الغالب، إلا إنه لم يكن يغيب عن بال القادة إن تلك المدن سوف تتطور لتصبح مراكز إسلامية ثابتة تنشر الإسلام والعلم والحضارة، فتشييد مثل هذه المدن اعتاد عليه العرب منذ صدر الإسلام ومن أمثلتها البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في المغرب العربي، وتوالى قيام هذه المراكز الحضارية في كل البلدان التي فتحها المسلمون فيما بعد.

إسهامات الوالي موسى بن نصير

كان على الوالي موسى بن نصير أن يكمل ما بدأه الولاة من أعمال في الشمال الأفريقي ونذكر منها مدينة تونس حيث بادر موسى بتوسيع دار الصناعة فيها، وإن كان بعض المؤرخين يذكر إن دار صناعة السفن في تونس كانت من إنشاء الوالي موسى بن نصير أو عبيد الله بن الحباب، ولكن هذا الخلاف سببه إسهام هؤلاء الثلاثة في بنائها، فحسان بن النعمان المؤسس الأول لها ثم طورها من جاء بعده^(١)، لذلك كان من المتوقع أن يقوم الوالي موسى بإنشاء دار الصناعة بتونس أو يضيف إليها أو يوسعها لتزيد من الإنتاج، فقد جر البحر إليها مسيرة اثني عشر ميلا، حتى أقحمه دار الصناعة، فصار مشتى للمراكب إذا هبت الأنواء والرياح، ثم أمر بصناعة مائة مركب، وحين أصابت مراكب إحدى حملات المسلمين البحرية رياح عاصفة، أمر موسى بتلك المراكب ومن نجى منهم فأدخلهم دار الصناعة في تونس، إن ذلك الاهتمام الذي أولاه موسى ببناء الأسطول البحري كانت له نتائج مهمة في تكوين قوة بحرية ضاربة في البحر المتوسط، كما يمكن أن يفسر لنا لماذا كانت عملية العبور الى إسبانيا قد تمت بصورة سريعة في حملات الفتح، كما يذكر إن موسى بن نصير قبل مغادرة الأندلس اختار اشبيلية لتكون عاصمة الأندلس، وأمر ابنه عبد العزيز الذي أصبح والي الأندلس بالانتقال إليها والغالب إنه أمر بإجراء بعض الإصلاحات في مينائها، فضلا عن تنفيذ بعض المنشآت الدينية والإدارية في المدينة. وهكذا غادر موسى من ميناء اشبيلية عند عودته إلى دمشق سنة ٩٥هـ-٧١٤م وقد أسسها لتكون القاعدة البحرية الأولى للعرب في الأندلس، اتجه فيها نحو المحيط الأطلسي، ومنه إلى شمال أفريقيا، ولم يعد بطريق البر إلى الجزيرة الخضراء، التي كان قد دخل منها أولا، وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية البحر في نظر موسى بن نصير، والاعتماد الكبير على الأسطول العربي في الاتصال بالمناطق الجديد المفتوحة^(٢).

تنظيمات الوالي موسى بن نصير

كان الوالي موسى بن نصير إداريا من الدرجة الأولى (تمرس في مناصب عديدة أهلته ليكون من أولئك الولاة الذين يفكرون بما يعملون ويعرفون ما يريدون وينفذون ما يخططون فاخذ يرسم من مقر ولايته الجديد في القيروان السياسة الإدارية لهذه البلاد بما ينسجم و الأهداف العامة للدولة العربية الإسلامية)^(٣).

بدأ موسى بن نصير بإقرار الأوضاع، ذلك إن البربر اختلفوا فيما بينهم بعد رحيل القائد حسان بن النعمان الغساني فكثرت الفتن، وخلت أكثر البلاد، حتى قدم موسى بن نصير، فتلافى أمرها، ولم شعثها^(٤).

وأمر الوالي موسى العرب أن يعلموا البربر القرآن الكريم ويفقهوه في الدين^(٥)، وكانت سياسة الولاة تجاه السكان الأصليين تختلف عن سياسة البيزنطيين، إذ عملوا على إزالة الرواسب التي تخلفت عند السكان جراء سياسة الطغيان والسخرية التي تعرضوا لها من قبل أولئك الغزاة الأجانب، وتمثلت في خوفهم وكرهيتهم لكل أشكال السيطرة فظلوا دوماً يقاومون، ويثورون على البيزنطيين الذين حاولوا أن يسيطروا على أراضيهم وتسخيرهم في الحقول وحينما دخل العرب المسلمون الشمال الأفريقي اتجهوا منذ بداية الفتح إلى بث الحياة في السكان والعمل على تكريمهم ورفع شأنهم، وكان للولاة قبل الوالي موسى دورهم في ذلك، ولكن هذه السياسة "ترسخت، وثبتت في عهد موسى بن نصير، تأكد للسكان المحليين إن النظام الجديد يهدف إلى حماية حقوقهم وأموالهم من عدوان الحكام، وكانت هذه السياسة العربية المتمثلة بالمساواة والإخاء مع أهل البلاد هي التي جذبتهم إلى التعاون مع العرب وأطلعتهم على حقيقة الإدارة الجديدة"^(٦)، أشرك الوالي موسى بن نصير ضمن تنظيماته السكان المحليين في الفتوح والجهاد حيث خطى خطوة واعتمد اعتماداً كبيراً على المجندين من السكان المحليين، وخطى خطوة أكبر، فنراه يعين احد فرسانهم قائداً لجيش الفتح، وعده ساعده الأيمن في كل حملاته، وهو القائد طارق بن زياد، الذي خوله الوالي موسى بن نصير كذلك سلطات حربية وسياسية وإدارية مطلقة على ولاية طنجة وقيادة حاميتها الإسلامية^(٧)، فأصبح تحت قيادة جند العرب والبربر على السواء وهو على أي حال توجه ينبع من تعاليم العقيدة الإسلامية التي لا تفرق بين الناس ويتضح إن الوالي موسى بن نصير على عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين في تصويره لشدهته أو ان جل همه إرضاء السلطة، والواقع لا يؤيد ذلك حيث بذل جهوداً عظيمة لنشر الإسلام في أفريقيا وقد ترك رجالاً من الدعاة ليعلموا البربر القرآن الكريم وفرائض الإسلام، ويفقهوه في الدين^(٨).

وكان البربر قد ارتدوا اثنتي عشر مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم، حتى عبر الوالي موسى بن نصير البحر إلى الأندلس وأجاز معه كثيراً من رجالهم برسم الجهاد، مما أدى إلى استقرارهم، واستقرار إسلامهم فتناشوا الردة^(٩).

وكان لنشر التعليم أثره في تعلم البربر اللغة العربية، وأدت الكتابات التي أنشأها العرب بالقرب من المساجد دوراً كبيراً في هذا المجال إذ توافدت عليها أعداد كبيرة من السكان المحليين لتلقي العلم فيها وقد وجد هؤلاء في اللغة العربية سبيلاً لجمع كلمتهم، لأنهم كانوا بحاجة إلى لغة يفقهون بها، وطريقة يكتبون بها ما يريدون التعبير عنه، ولم تكن لغتهم الأصلية لتفي بهذا الغرض، فوجدوا في لغة القرآن الكريم ضالتهم، فأصبحوا يشكلون وحدة متماسكة مع العرب في تلك البلاد: شعب مسلم واحد، قوي، تنتشر بين أفرادها المودة والألفة والإخاء^(١٠)، ((وبهذه الخطة العلمية الرائعة استطاع الوالي موسى بن نصير أن ينتشر الإسلام في ربوع المغرب، وبذلك أشاع الانسجام الفكري بين العرب و البربر (...))^(١١).

ومن أعمال الوالي موسى بن نصير الإدارية قيامه بضرب سكة في المغرب والأندلس، وهو ما يعني تخويل الخليفة له للقيام بذلك تمثيلاً مع سياسة الدولة الأموية في تعريب السكة وإرساء اقتصاد لا يعتمد على النقد الأجنبي لما في ذلك من خطورة على مجمل الأوضاع المعيشية والتجارية والاقتصادية، ولاسيما بعد ان اتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية واتسعت معها إمكاناتها ومصالحها الاقتصادية.

وتوجد نماذج كثيرة لدنانير ذهبية، وفلوس نحاسية ضربها الوالي موسى بن نصير في دار سكة بالقيروان في أواخر القرن الأول للهجرة. وتجدر الإشارة إلى إن الوالي موسى بن نصير قد اتبع طريقة متدرجة في تحويلها إلى نقود عربية^(١٢)، ويبدو لي انه ربما استكمل ما بدأه سلفه الوالي حسان الغساني، الذي كانت الدنانير في عهده لازالت تحمل كتابات لاتينية^(١٣).

استبدل الوالي موسى بن نصير كذلك عبارات الدينار البيزنطي القرطاجني التي تشير إلى اسم القيصر وألقابه، بعبارات إسلامية تعلن وحدانية الخالق وتمجيده، واستمر في حذف الإشارات البيزنطية فرسم في وسط الدينار عبارة التوحيد

ومعها إثبات الرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وذلك بلفظ وخط عربي: (لا اله إلا الله) في وجه العملة، وعلى ظهرها: (محمد رسول الله) ولكن ظل تاريخ الضرب باللاتيني ن إلى إن تم تعريبها تماما بعد مغادرة الوالي موسى بن نصير إلى دمشق على يد والي أفريقيا (إسماعيل بن أبي المهاجر) فأصبحت تتفق مع الدينار الأموي في حجمه وشكله ووزنه^(١٤).

واستعملت عملة الوالي موسى بن نصير الإفريقية هذه في الأندلس عند بداية دخوله هناك^(١٥)، وفي عهد الوالي موسى بن نصير تم تعريب الفلوس النحاسية بشكل تام فأصبحت تحمل كتابات عربية خالصة، وخالية من كل الشارات المسيحية والكتابات اللاتينية، ومن أمثلتها فلس ضرب بتلمسان، يرى احد المؤرخين المحدثين في المغرب انه ضرب بمناسبة افتتاح الوالي موسى بن نصير لهذه المدينة سنة (٨٦هـ / ٧٠٦م) وتكمن أهمية هذا الفلوس في انه يحمل اسم مدينة الضرب بالخط الحجازي، كما يحمل في الوجه الآخر صورة شخص ملتح على الطريقة العربية، وشعر رأسه نازل إلى الأذنين، ومفروق في الوسط، وبحسب رأي هذا المؤرخ فإن الصورة هي للوالي موسى بن نصير فاتح تلمسان^(١٦).

وفي الأندلس سك الوالي موسى بن نصير أول عملة إسلامية سواء دنائير ذهبية، أم فلوسا نحاسية ، ليدفع منها رواتب الجند^(١٧)، وتغطية حاجة السكان، وتسهيل أمور حياتهم اليومية في عمليات البيع والشراء وغيرها، فضلا عما عرفناه من أهمية النقد في الجوانب التجارية والاقتصادية للدولة.

وقد اصدر الوالي موسى بن نصير أكثر من نوع واحد من المسكوكات في بلاد المغرب والأندلس، فهو مثلا قد ضرب فلوسا في طرابلس وعليها اسمه (موسى) باللاتينية (MUSE) كما ضرب مثلها في مدينة طنجة، وفي القيروان وفي الأندلس أيضا، وتعددت تواريخ ضربها بين ٩٢هـ، و٩٣هـ، و٩٤هـ، و٩٥هـ وهي آخر سنة لعهد الوالي موسى بن نصير في المغرب والأندلس^(١٨).

الجوانب الفكرية والثقافية للوالي موسى بن نصير

أن الجانب الآخر هو ما يهمننا هنا في هذا المبحث فيتعلق، بالجانب الاخلاقي والإنساني والثقافي والفكري لدى الولاة فقد كان لطبيعة البيئة العربية وظروفها أثرها في طبع الإنسان العربي على الشجاعة ، والثقة بالنفس . فمن الشروط المهمة الواجب توفرها في الولاة أن يتميز الوالي بثقافة عالية، وسلامة تفكير، وقدرة على اتخاذ القرار المناسب، فضلا عن الشجاعة والبأس والكرم والسخاء والنجدة وغيرها من الصفات الحسنة والشمائل الحميدة وعندما جاء الإسلام نل الإنسان نقلة نوعية إلى آفاق عظيمة من سمو فهو رسالة تتم مكارم الأخلاق.

وتقوم تلك الثقافة والتربية الفكرية أول ما تقوم على أساس من مبادئ العقيدة الإسلامية، السامية وتعاليمها، وكذلك الاقتداء برسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) خير خلق الله، فكان لتوجيهاته، أثرها العظيم في صياغة شخصية الوالي المسلم، كما كان لخلفائه وتوجيهاتهم كذلك أثرها البالغ في ترسيخ تلك الشخصية. إن القرآن الكريم قد حض على الجهاد ونشر كلمة الله، ونصت تعاليمه على النهي عن العدوان، فإله لا يحب المعتدين، ولذلك فإن القتال في الإسلام له آداب خلقية جلية: فمن أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) على سبيل المثال قوله: (اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تملأوا، ولا تقتلوا وليدا) والشمائل الحميدة وعندما جاء الإسلام نل الإنسان نقلة نوعية إلى آفاق عظيمة من سمو فهو رسالة تتم مكارم الأخلاق .

وأوصى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) رجال جيشه بقوله: "لا تقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هراما، ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا بعيرا إلا لمأكله، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه، ولا تغل ولا تجبن^(١٩).

ومن وصايا الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للجيش ما أورد ابن قتيبة، إذ يذكر: "كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية: بسم الله وعلى عون الله وامضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. لا

تجنبوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفي شن الغارات، ولا تغلوا عند الغنائم ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالرياح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم^(٢٠).

أما الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فقد خطب في الحملة التي أرسلها إلى مصر لدعم الجيش الإسلامي الفاتح للمغرب فقال: "قد استعملت عليكم الحارث بن الحكم، حتى توصلوا على عبد الله بن سعد، وقد قدمت عليكم عبد الله بن سعد لما علمت من ثقته ودينه وحسن رأيه وشجاعته، وأخذت عليه العهد والميثاق أن يحسن لمحسنكم، ويتجاوز عن مسيئكم، ولا يحمل غرض الدنيا على هلاك رجل واحد منكم. وأرجو لعبد الله أن يقف عند عهدي وأمري، وأوصيكم وإياه أن لا يهولنكم كثرة العدو، وقد علمتم ما أنزل الله عليكم حيث يقول: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله﴾ أما علمتم أن أول هذه الأمة ما نصرها إلا بكثرة الصبر وقوة اليقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. استودعكم الله وهو خير الحافظين. سيروا على بركة الله، وعليه فتوكلوا، وبه فاتقوا^(٢١).

وكان الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) له وصايا مهمة حيث أوصى الاشتهر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها كتب إليه يقول: "قول من جندك انصحهم في نفسك لله ولرسوله وإمامك، وأنقاهم جيبا، وأفضلهم حلما ممن يبطأ على الغضب، ويستريح إلى الحذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف. ثم الصق بذوي الاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الولدان من ولدهما، ولا يتفانم في نفسك شيء قويتهم به ولا تحتقرن لطفًا تعهدتهم به"^(٢٢).

وكان لولاة العرب المسلمين في أفريقيا والأندلس إسهاماتهم الرائعة في المجال الأخلاقي والفكري وشهادة غوستاف لوين الذي يقول ((لم يشهد التاريخ فاتحا أرحم من العرب)) هي تعبير صادق وحكم يجب الوقوف عنده مليا، وإدراك سمو عقيدة الإسلام، ويشير جورج كا ستلان إلى الأثر العظيم لهذه العقيدة، بقوله: ((إن الإسلام ظهر في القرن السابع الميلادي كأول قوة حربية في ذلك العصر انحنت أمامها إمبراطورية الروم، والعقيدة الدينية التي كانت لها في نفوسهم المقام الأول، هي أولى من القوة الحربية والتي تفسر الفتوحات الخاصة الخارقة للعادة التي قام بها المسلمون))^(٢٣)، عكست عظمة عقيدتهم ورفي ثقافتهم ويتضح ذلك من خلال كفايتهم القيادية، وتوجيهاتهم، وخطبهم، ومواقفهم.

وكان والي موسى بن نصير نموذجا من الولاة الأفذاذ، وقد تم على يديه استكمال فتح الشمال الأفريقي، ثم فتح إسبانيا. وله مواقف لا تعد تشير إلى كفايته الإدارية والسياسية العالية، وما فتح الشمال الأفريقي في تلك المدة الزمنية القصيرة إلا دليل على تلك الكفاية، فضلا عما ذكرناه عن أعماله الإدارية ولكن من الأفضل عرض الجوانب التي تبين المستوى الثقافي والفكري لهذا والي الفاتح.

كان موسى بن نصير خبيرا بأمور الحرب وما يصلح لها من الرجال، يتبين ذلك من خطبته حينما قدم إلى أفريقيا وجمع المسلمين ومما جاء فيها كما ذكر ابن قتيبة^(٢٤)، وليس أخو الحرب إلا من اقتحل السهر، وأحسن النظر، وخاض الغمر، وسمت به همته، ولم يرض بالدون من المغنم لينجو، ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عندها من غير حرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه، جازما في عزمه، مستزيذا في علمه، مستشيرا لأهل الرأي في أحكام رأيه، متحكما لتجاربه، ليس بالمتجانب إقحاما، ولا المتخاذل إجحاما إن ظفر لم يزهه الظفر إلا حذرا، وإن نكب أظهر جلادة وصبرا، راجيا من الله حسن العاقبة، فيذكر بها المؤمنين، ورجاهم إياها لقول الله تعالى: ﴿إن العاقبة للمتقين﴾^(٢٥).

والنص فضلا عما يبينه من خبرة والي موسى بن نصير، فإنه كذلك يشير إلى قوة إيمانه بالله وصدق إخلاصه لعقيدته. وتذكر المصادر إن والي موسى كان ورعا تقيا^(٢٦)، والنص الآتي يؤكد ذلك، ويعكس صورة واضحة لمدى إيمانه بربه لعلمه إن النصر أولا من عند الله، فكان توكله عليه تعالى، ثم يلجأ إلى تلك الوسائل والأساليب الحربية، إذ يذكر إن الخليفة سليمان بن عبد الملك سأل والي موسى بن نصير: "ما الذي كنت تفزع إليه في مكان حرك من أمور عدوك،

قال: التوكل والدعاء إلى الله يا أمير المؤمنين. قال سليمان هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق، أو كنت تخندق حولك؟ قال الوالي موسى: كل هذا لم افعله. قال: فما كنت تفعل؟ قال: كنت انزل السهل، واستشعر الخوف والصبر، واتحصن بالسيف والمغفر، واستعين بالله، وارغب إليه في النصر...^(٢٧).

كما كان لموسى بن نصير معرفة دقيقة بالمزايا القتالية لجيوش الأمم التي كان يواجهها، فقد سأله يوماً الخليفة سليمان بن عبد الملك: "أي الأمم كانوا اشد قتالا؟ فقال: إنهم يا أمير المؤمنين أكثر من أن أصفهم لك: فقال له اخبرني عن الروم. فقال: اسود في حصونهم، عقبان على خيولهم، نساء في مواكبهم، إن رأوا فرصة افترضوها، وان خافوا غلبة فاوعال ترقل في أجبال، لا يرون عارا في هزيمة تكون لهم منجاة. قال سليمان: فاخبرني عن البربر. فقال: هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب: لقاء ونجدة، وصبر وفروسية، وسماحة وبادية، غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر"^(٢٨).

قال: فاخبرني عن الاشبان. قال: ملوك مترفون، وفرسان لا يجبنون، فقال: فاخبرني عن الافرنج. فقال (موسى): هناك العدد والعدة، والجلد والشدة، وبين ذلك أمم كثيرة، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، وكلا قد لقت بشكله، فمنهم المصالح، ومنهم المحارب المقهور، والعزيز البذوخ. فقال (سليمان): فاخبرني كيف كانت الحروب بينك وبينهم، أكانت عقبا^(٢٩)؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما هزمت لي راية قط، ولا فض لي جمع ن ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ أقحمت الأربعين إلى أن شارفت الثمانين^(٣٠). وسأله سليمان: "فمن كان من العرب فرسانك؟ قال: حمير"^(٣١). ومع خبرة موسى بالفروسية وأمور الحرب، كانت له خبرة ودراية عميقة بأمر الخيل، فحين قدم من الأندلس سأله الخليفة سليمان بن عبد الملك كذلك: أي الخيل رأيته في تلك البلاد اصبر؟ فقال: الشقر، وقال موسى: إذا كان الأدهم الأحمر العينين فإنه يتهم بالحر^(٣٢).

وبوضح الوالي موسى كيفية معرفة العسر في الخيل وذلك بقوله: "يختبر العسر بأن يقفز الفرس خندقا صغيراً سبع مرات، فإن رفع في كل المرات يده اليمنى قبل اليسرى، فاعلم انه ليس بأعسر"، والعسر مما يكره في الخيل^(٣٣).

وحول بلادة بعض الخيل يبين الوالي موسى كيفية معرفتها بقوله: "تختبر البلادة بأن تقف على عشرة أذرع من الفرس، وارمه بخرقه أو ارم عنانه بحصى، فإن وقف فاتهمه ببلادة، وكذلك إن عطست وأنت راكبه أو نفضت بعض ثيابك، ثم اركبه والى على الأرض ثوباً أبيض، وامش به عليه، فإن حذره فاعلم إنه ذكي النفس، وإلا فاعلم إنه بليد^(٣٤)".

وكان هذا الوالي إلى جانب خبرته وعلمه وورعه وتقواه يجمع كذلك بين طاعة أولي الأمر، وبين ثقته بنفسه واعتزازه بها، و بجهاده: فقد تمكن موسى أن يفتح بلادا واسعة ويكون قوة تستعصي على الخلافة لو إنه أراد الانفصال عنها، لاسيما وان أولاده كانوا معه يسيطرون على أفريقيا والأندلس، ولكنه ظل مخلصاً للخلافة. ويذكر ابن عذاري إن يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة قال لموسى بعد أن عاد من الأندلس إلى دمشق... "أفلا أقمت في دار عزك، وموضع سلطانك؟ فقال: والله لو أردت لما نالوا من اطرافي شيئاً، ولكني أثرت الله. عز وجل. ورسوله، ولم أر الخروج عن الطاعة^(٣٥)".

ومع هذه الطاعة لأولي الأمر لم يكن الوالي موسى ليقبل أي انتقاص له أو تقليل من شأنه، من أي كان: ومن ذلك إنه بعد وفاة والي مصر عبد العزيز بن مروان. الذي كانت تربطه بالوالي موسى علاقات وطيدة. خلفه على ولايتها عبد الله بن عبد الملك، وهو ابن الخليفة عبد الملك بن مروان، فكتب الى الوالي يوبخه ويسفه رأيه ويقلل من شأنه، ذلك انه أراد أن يربط ولاية افريقية إداريا به، في حين أن الوالي كان مستقلا بها، فقرأ رسالة والي مصر التي جاء فيها: "أما بعد: فانك كنت من عبد العزيز وبشر بين مهادين، تعلق عن الحضيض مهودهما، ويدفئك دثارهما حتى عفا مخبرك، وسمت بها نفسك، فلا تحسبني كمن كنت تخلبه وأعداء بيته، وتقول اكفياني اكفيكما... وايم الله لأضعن منك ما رفعا، ولأقلن منك ما كثر، فضح رويدا، فكأن قد أصبحت سادما تعض انا ملك نادما، والسلام".

ورد الوالي موسى على ابن الخليفة فكتب إليه قائلا: "فقد قرأت كتابك وفهمت ما وصفت فيه من أركانني إلى أبويك وعمك، ولعمري إن كنت لذلك أهلا، ولو خبرت مني ما خيرا، لما صغرت مني ما عظما، ولا جهلت من امرنا ما علما، فكيف أتاه الله لك. فما انتقاصك لهما، فهما لك وأنت منهما، ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالا، وكفك جزء العاق، فأما ما نلت من غرضي، فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك، وإما تهديك إياي ابنك واضع مني ما رفع،

فليس ذلك بيدك ولا إليك فارعد وابرق لغيري...^(٣٦).

والرد فضلا عن بلاغته، فهو يدل على مدى ما يتمتع به الوالي موسى بن نصير عن قوة شخصية وحزم إداري واضح، إذ انه لم يبال بما خاطبه به ابن الخليفة، نظرا لسلامة موقفه من السلطة المركزية. وقد كان لهذا الرد العنيف وقع الصاعقة على والي مصر واعتراه غضب شديد فبعث بكتاب إلى أبيه، ومعه كتاب الوالي موسى، لكن الخليفة توفي قبيل وصول الكتاب، ووقع الرد في يد الوليد بن عبد الملك الذي علق على هذا الموقف، وأشاد بموسى قائلا: "لله دره ان كان عنده لأثرة من علم، ولقد كان عبد الله غنيا أن يتعرض له"^(٣٧).

وحين تم قتل ابنه عبد العزيز بن موسى - والي الأندلس - بإيعاز من الخليفة سليمان بن عبد الملك - بسبب اتهام كاذب - وقد احضر رأسه إلى الخليفة، فاستدعى الوالي موسى وسأله: "أتعرف هذا؟ قال: نعم، اعلمه صواما قواما، فعليه لعنة الله ان كان الذي قتله خيرا منه"^(٣٨)، وفي رواية قال موسى: "نعم هذا راس عبد العزيز بن موسى... ثم إن موسى قام فحمد الله، ثم قال: وهذا راس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين، فرحمة الله تعالى عليه، فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواما، وليله إلا قواما ... فو الله ما كان بالحياة شحيحا، ولا من الموت مشيحا، ولا عز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد إن تصرعه هذا المصرع وتفعل به ما أراك الله تفعل، ولهم كانوا اعظم رغبة فيه، واعلم بنصيحة أبيه أن يسموا فيه كاذبات الأقوال، ويفعل به هذه الأفاعيل. قال: فرد عليه سليمان، فقال: بل ابنك المارق من الدين، الشاق عصا المسلمين، المعاند لأمير المؤمنين، فمهلا أيها الشيخ الخرف. فقال موسى: انه والله ما في من خرف، وما أنا من الحق بذي جنف، ولن ترد محاوره الكلام مواقع الحمام، وأنا أقول كما قال العبد الصالح، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون..." وعلى أي حال فان سليمان سرعان ما اكتشف براءة عبد العزيز، فندم، ولكن بعد فوات الأوان^(٣٩).

إن هذه المواقف مع افتراض ما يمكن أن نلمسه في عرضها من أسلوب لا يخلو من الصنعة الأدبية، إنما تعطينا صورة واضحة لهذا الوالي الفذ والقائد المتميز، وسعت علمه، وقوة شخصيته. ويبدو انه مع هذه القوة لم يكن يستكف أن يتقبل الاعتراض والنصح من رجال جيشه، فهذا الفارس حنش الصنعاني حينما رأى، توغل القائد موسى إلى أقصى الشمال الاسباني أثناء عمليات الفتح، ونية موسى مع ذلك ان يتماذى في التوغل نحو بلاد غالة^(٤٠)، على الرغم من العدد المحدود لقوات المسلمين، الذين تفرقوا في المناطق المفتوحة وما يتطلبه الوضع من وجوب بقائهم لضمان إقرار الأوضاع فيها، وعدم خروجها من أيدي المسلمين، فقام حنش الى موسى، "فاخذ بعنانه، ثم قال أيها الامير إني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع وتقول: لقد غرر بنفسه وبمن معه، وما كان معه رجل رشيد، وأنا رشيدك اليوم: أين تذهب ؟ تريد أن تخرج من الدنيا، أو تلتمس أكثر وأعظم مما أعطاك الله، واعرض مما فتح الله عليك، ودوخ لك. إني سمعت من الناس ما لا تسمع، وقد ملوا أيديهم وأحبوا الدعة ... فضحك موسى ثم قال :أرشدك الله وكثر من المسلمين مثلك، ثم انصرف قافلا إلى الأندلس، فقال موسى يومئذ: أما والله لو انقادوا إلي لقدتهم حتى أوقفتهم على رومة، ويفتحها الله على يده"^(٤١).

هكذا هي مواقف ولاية العرب المسلمين: إيمان صادق، وشجاعة نادرة، مع فكر وعلم، وتواضع، وحزم، وحسن قيادة

وإدارة.

الخاتمة

كان للولاة العرب المسلمين ادوار رئيسية في حروب التحرير والفتوحات التي قامت بها الجيوش الإسلامية، ومنها فتوحات المغرب العربي واسبانيا، يتضح من خلال ما أورده المصادر من معلومات، وإشارات وغيرها من النصوص التاريخية التي تدل على المهام والأدوار التي قام بها الولاة، إذ إن الشمال الأفريقي بما يمثله من مساحات شاسعة وتضاريس مختلفة، وقبائل شديدة المراس، فضلا عن وجود البيزنطيين المحتلين لأجزاء كبيرة منه، كانت تشكل عقبات كبيرة أمام الفتح العربي الإسلامي ومع ذلك تمكنت الجيوش العربية الإسلامية من تحقيق انتصارات عظيمة حتى تم فتح الشمال الأفريقي بأكمله.

وبعد كل هذا كان للولاة إسهاماتهم وأعمالهم الحضارية إلى جانب تلك المهارات والبطولات في المعارك أو المواجهات وتمثلت ابرز تلك الإسهامات في ما قام به أولئك القادة أو الولاة من إقامة المنشآت المدنية والدينية والعلمية: فبنوا المدن والحوضر الزاهرة ومن اشهرها مدينة القيروان ومدينة تونس التي أسسها الوالي حسان بن النعمان وأكملها الوالي موسى بن نصير، فضلا عن إنشاء الكثير من المساجد والمدارس في أرجاء الشمال الأفريقي والأندلس، واثبت الولاة كفاية جيدة في التنظيمات الإدارية المدنية، فقاموا بإنشاء الدواوين، وتعيين القضاة، واهتموا بحفظ الأمن والحراسات في المناطق المختلفة، وسك النقود، وتنظيم الأمور المالية، والتجارية ومعاملات الناس، وتسهيل احتياجاتهم كما نظم الجبايات وتوزيعها.

وهذه الأعمال التي قام بها الولاة هي من أنبل القيم الإسلامية التي ساروا عليها والمتمثلة بالأفكار والأخلاق النابعة من مورثهم وعقيدتهم الإسلامية التي سار عليها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام (رضي الله عنهم)، والوالي لا يكون مؤهلا ما لم يكن على حظ كبير من الثقافة والعلم وحسن الخلق وغيرها من الصفات الحميدة كالشجاعة والكرم والإيثار.

والوالي موسى بن نصير على حظ كبير من هذا الموروث العربي الإسلامي، وهنالك أمثلة رائعة للولاة جسدها الفاتحون للمغرب العربي واسبانيا ويشهد على ذلك خطبهم التي عكست العمق الفكري لديهم، ونبل أخلاقهم وإنسانيتهم في التعامل سواء في التعامل مع جنودهم او مع شعوب البلاد المفتوحة، وكانت لسياسة المساواة والعدل وإشراك سكان المناطق المفتوحة في الجيش والوظائف أثرها الكبير في انتشار الإسلام فيهم.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط (البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس) مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، د.ت) ص ٣٤٤، طه، عبد الواحد ذنون، موسى بن نصير، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٩٨٩)، ص ٦٦-٦٧.
٢. ابن أبي دينار، كتاب المؤنس، ص ٢٣؛ خطاب، محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي، دار الفتح للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٦)، ص ٢٩٠.
٣. مجهول، مؤلف (يرجع تأليف الكتاب القرن الرابع أو الخامس الهجري)، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الايباري، دار الكتب الإسلامية، طبع بمطبعة نهضة مصر، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ٢٧؛ المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨): نفح الطيب، ١/٢٧٦؛ طه، موسى بن نصير، ص ١٢٩.
٤. طه، موسى بن نصير، ص ٧٠.
٥. السلاوي، أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٩هـ/١٩٠١م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر النصري، ومحمد الناصري، (الدار البيضاء، ١٩٥٤)، ١/٨٤.
٦. ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً في ٧١٢ هـ/١٣١٢ م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٨٠)، ١/٤٢.
٧. طه، الفتح والاستقرار، ص ٧٣-٧٤.
٨. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الإمامة والسياسة، (القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٧٥)، ص ١٦٠-١٦١.
٩. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ١/٤٢؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ص ٢٨٨.
١٠. السلاوي، الاستقصا لاختبار دول المغرب الأقصى، ١/٨٩.
١١. العدوي، إبراهيم احمد، موسى بن نصير، مؤسسة المغرب العربي، سلسلة اعلام العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، د.ت)، ص ٥٩-٦٠؛ طه، موسى بن نصير، ص ٧٦-٧٧.
١٢. خطاب، قادة فتح المغرب، ص ٢٩٨.
١٣. ينظر: طه، موسى بن نصير، ص ٧٨.
١٤. الحسيني، محمد باقر، النقود العربية الإسلامية، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٦٣-٦٤.
١٥. طه، موسى بن نصير، ص ٧٨-٧٩.
١٦. مؤنس، حسين، فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ١٠١.
١٧. ينظر طه: موسى بن نصير، ص ٧٩.
١٨. مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٠١؛ خطاب، قادة فتح المغرب، ص ٢٨٩.
١٩. ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٣٩٩هـ/١٠٠٨ م)، قدوة الغازي، دراسة: عائشة السليمان، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٩)، ص ١٦٥.
٢٠. ابن أبي زمنين، قدوة الغازي، ص ١٦٦.
٢١. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص ١٥-١٦.
٢٢. عبيد الله بن صالح (ت. ق ١٤هـ/٨٤م)، (نص جديد عن فتح العرب للمغرب)، تح: ليفي بروفنسال، ترجمة: حسين

- مؤنس، صحيفة العهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، (المجلد الثاني - ١٩٥٤)، العدد ١-٢، (مدريد)، ص ٢١٥-٢١٦.
٢٣. علي بن أبي طالب - عليه السلام - (الإمام)، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت، د.ت)، ٩٢-٩١/٣.
٢٤. جورج كاستلان، تاريخ الجيوش، ترجمة: كمال دسوقي، تعليق عبد الرزاق زكي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٥٦)، ص ٥٢؛ وينظر: جهادية، العقلية العربية، ص ١٧٥.
٢٥. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٦٦/٢.
٢٦. صورة هود، من الآية ٤٩.
٢٧. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ١٢٨٢هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٣٧)، ١٤٤/٢؛ الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ٣١٧.
٢٨. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٨٧.
٢٩. وقد هذبهم الإسلام فأصبحوا كالعرب سواء بسواء، ينظر: خطاب، قادة فتح المغرب، ص ٢٩٣.
٣٠. عقبا: أي لك وعليك، أو بمعنى نصر وهزيمة.
٣١. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص ١٨٧-١٨٨؛ خطاب قادة فتح المغرب، ص ٢٩٣-٢٩٤.
٣٢. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٨٧.
٣٣. الحرن: الوقوف وعدم الانقياد.
٣٤. ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن بن هذيل الغرناطي (عاش في القرن ٨هـ/١٤م)، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تح: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف (القاهرة، ١٩٥١)، ص ٩٤ ص ١٠٩-١١٠.
٣٥. ابن هذيل، حلة الفرسان، ص ١١٠.
٣٦. ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٥/١.
٣٧. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت، ١٩٠٨)، ص ٦٠-٦١؛ طه، موسى بن نصير، ص ٨٠-٨١.
٣٨. الكندي: كتاب الولاة، ص ٦٢.
٣٩. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، فتوح تفرقيا والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٦٤)، ص ٨٥.
٤٠. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٨٢-١٨٤.
٤١. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، فتوح أفريقيا والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٦٤)، ص ٨.